محمد عفيفي مطر

حواجز منتصف الليل

تفرّعي وانشبي الجذورْ
بقلبيَ الصموتِ ، يا لذائذي التي تموت ساعة النشورْ
وقلبي كوامن الرماد في الضلوعْ.
انا وانت لم نزل مطاردَيْنِ في قصائد السفرْ ،
مُرَوَّعَيْنِ من بشائر المطرْ ،
ومن تخوُّف العبور في مزالق الجسورْ .

حملتُ وجهكِ المروَّع العيونْ
محفراً بداخلي وغائراً ، مشيتُ في السنينْ
أراقص الرياح ، وانتظرت ان تميتني صواعق الجنونْ
لابدأ الغناء في الظلام ،
لتبدئي النموّ — يا جنينَ روحيَ الحزينْ —
اخذتُ من عبيركِ الرهيب خمرةً ،
غسلتُ طينتي بنار حلمتيك
فأعشبي، لتضحك المواسم الخفيةُ الثمارْ .

حملتُ وجهك الملوَّنا
بكل ما عرفتُه من الهجاسْ
بلون ما اعتمرته من الثمار في حدائق النعاسْ
بكل ما يسيل في اصابع الرصاصْ
من الدم الخفيِّ في مقاصل الخلاصْ

وسرتُ عاريا ، يحطّ طائر الهجيرْ
على قناطر القرى وفي شوارع المدن
ينضّرُ السما فتنزق الجنونْ
خناجرا تطير في الفضا ولا تميتني ، لتنبتَ
المواسم الجديدة الثمار والفصولْ .
حملتُ وجهكِ الاصمّ وانطلقتُ في الخلاءْ
على جبينيَ المزق انطفاءةٌ وفي الضلوع من
توجّعي سحابة وماءْ
يرجّني ، يدعّني ، يعود بي الى مزالق الجسورْ
ويقدح الشرار في عيون كل شيء .
تميتني هواجس الفرارْ ،
تعيدني بشائر القصاصْ
فأبدأ الغناء في الظلامْ
وفي انتصاف ليلنا تحطّ نغمةٌ عميقة السلامْ
فتملأينني بطميك الغريبْ
وتعصرين حلمتيك في قصائد السفرْ

اريد ان انام في عبيرك الخفيّ لحظتين
اريد ان انامْ
وطائر الهجاس والجنون ما يزال في تعقّبي
يحطّ كي يطيرْ
ولم ازل معلقاً به احطّ كي اطيرْ
ووجهكِ الرهيب لم يزل محفّرا بداخلي ،
ولم ازل معلقاً بطائر الهجيرْ
احاول الفرارْ .